مجلة علوم التربية

دورية مغربية فصلية متخصصة

العدد الرابع والخمسون - يناير 2013

اللسانيات وتدريس اللغة العربية
نحو منظور وظيفي جديد

◆ عبد الوهاب صديقي*

تمهيد:

علاقة اللساني بالبيداغوجي، علاقة وطيدة أملاها الاشتغال على نفس الموضوع بأدوات وآليات مختلفة، إنه موضوع اللغة، كنسق رمزي يميز الإنسان، فهو يسخر اللغة لتحقيق جميع أغراضه، كما عرفه ابن جني (ت393 هـ) في كتابه الخصائص، ومنذ القدم اهتم الإنسان باللغة باعتبارها تعبيرا عن انتمائه لمنظومة قيم، ودين وحضارة وثقافة.

اللساني يشتغل على اللغات الطبيعية، كنسق رمزي تصويتي، كدوال لها مدلولات، تحقق وظيفة أسمى هي التخاطب، بالتالي يتحقق الإقناع والتأثير والحجاج، لأنه لا تخاطب من غير حجاج، أما البيداغوجي فيبحث عن ما يمكنه من تذليل الصعوبات أمام المتعلم ليتمكن من الملكات اللغوية والتواصلية، فيعبر وينتج خطابا-علاقة باللغة العربية- فصيحا سليما من الأخطاء اللغوية والنحوية، فيه مواصفات النص المتسق المنسجم.

وقد تبوأت اللغة العربية مكانة هامة في الدرس اللساني الحديث، ولا ضير لأن اللغة مقوم أساس من مقومات النهوض الحضاري، وقد اشتغل على العربية لسانيا من جوانب شتى تركيبية ودلالية ومعجمية وتداولية، وتعج المكتبات بعناوين تدل على وعي بأهمية دراسة اللغة العربية من منظور اللسانيات الحديثة.

لكن الدراسات اللسانية الحديثة، التي تناولت موضوع اللغة العربية والتي يمكن استثمارها اليوم في تدريس اللغة العربية، فنعني بها:

أولا: مشروع اللساني التوليدي عبد القادر الفاسي الفهري، قد عقد مؤلفات لتبسيط ومعالجة اللغة العربية من منظور اللسانيات التوليدية كما عند رائدها نعوم تشومسكي، منذ

---

* باحث في اللسانيات

نموذجها (نموذج 65)فالنموذج المعيار الموسع فالرابط العاملي فالأدنوي، وفي هذه المؤلفات دعا الفاسي إلى حوسبة معجم اللغة العربية، وبناء معجم اليكتروني محوسب (انظر المعجمة والتوسيط)

وثانيا: مشروع اللساني محمد الأوراغي، ويتبنى منظور اللسانيات النسبية، رفضا للسانيات الكلية، التي تؤمن بإمكان إيجاد "نحو كلي"، فاللغة العربية من هذا المنظور نسق رمزي وديوان ثقافي، وفصوص. واللغة العربية حسب مشروع الأوراغي لسان حضارة القرآن، لسان يتميز بتوفره على كفايات غير متوفرة في أنساق لغوية أخرى، ومن هذه الكفايات: الكفاية الحفظية و الكفاية التسديدية، الكفاية الظفرية، الكفاية الأمنية. (انظر الأوراغي(2010).

ثالثا: مشروع لساني، مدار بحثه واشتغاله ابستمولوجيا اللسانيات، أي الدراسة النقدية العلمية للمعرفة اللسانية ومدى استفادة الثقافة العربية منها، بتمحيص أسسها وخلفياتها المعرفية وأسسها وإطاراتها الاستدلالية، لأنه لا يمكن تبني، نظرية لسانية دون استيعاب لخلفيات منظريها، فالمفاهيم معالم كما يقول الباحث محمد مفتاح، أي دوال لإطارات معرفية تؤطر مشروعا معرفية، وتكمن أهمية هذا المشروع -استمولوجيا اللسانيات-في كونه يذكي الحس النقدي في التعامل مع المفاهيم والخلفيات المعرفية، ويمكن النظر للتوسعة في مؤلفات اللسانيين؛مصطفى غلفان، وحافظ اسماعيلي علوي، وامحمد الملاخ.

ثم رابعا: مشروع اللساني الوظيفي أحمد المتوكل، الذي مثل المؤسس للنحو الوظيفي في العالم العربي، وقد ارتبطت اللسانيات الوظيفية باللساني الهولندي سيمون ديك، بدوره خص المتوكل اللغة العربية معالجة ودراسة من منظور المنحى الوظيفي، منذ نموذجه النواة(ديك1978) فنموذج مستعمل اللغة الطبيعية، المرتبط بملكات خمس، اللغوية والمنطقية والإدراكية والاجتماعية والمعرفية، المرتبطة بدورها بقوالب تتفاعل فيما بينها، فنموذج نحو الخطاب الوظيفي (ماكنزي وهنخفلد 2008).

فكيف يمكن استثمار هذه المشاريع اللسانية في تجويد تدريس اللغة العربية؟

اللغة العربية والحاجة إلى تجويد تدريسها:

الجودة والتجويد وأجاد، وأجود كلها كلمات تدور في فلك واحد تعني الإتقان والتمكن من الشيء، وتجويد تدريس اللغة العربية، يعني أن يتمكن المتعلم من الملكات اللغوية والثقافية والتواصلية، بحيث يتحكم من نسق اللغة، ويستطيع التواصل بها، سليمة من الأخطاء النحوية والأسلوبية..الخ

ويقتضي الوصول لهذا المرمى، الانتقال باللغة العربية تدريسا من التدريس المعتمد على الشحن والتلقين للمعارف النحوية، إلى إحساس المتعلم بجمال اللغة من خلال تشويق النصوص السردية، وجمال الصور

الشعرية، وسحر القوافي، فاللغة كائن حي، يحيى بالجمال والتذوق الفني لنصوصها، ويقتضي تجاوز الأساليب العتيقة في تدريس اللغة العربية البحث عن استراتيجيات جديدة لعل أهممها التفكير في حوسبة اللغة العربية، وخلق معجم اليكتروني، يستطيع المتعامل مع الحاسوب استثماره في تواصلاته، وفي البحث عن المعلومة والمؤلفات الجديدة

وتعتبر اللسانيات الوظيفية، من المشاريع التي يمكن استثمارها في معالجة ظواهر اللغة العربية في تدريس اللغة العربية، بحيث يتم إدراج اللسانيات الحديثة في مقررات اللغة العربية، شريطة تمكن المدرس من عدته اللسانية والبيداغوجية، وهذا من طبيعة الحال يستدعي وعي مراكز مهن التربية والتعليم بأهمية تكوين الخريجين تكوينا لسانيا، فتسلح الخريج بالمعارف اللسانية ستمكنه من تجاوز عراقيل التعدد اللهجي، و الوعي بأمراض اللغة عند المتعلمين مبكرا، بالتالي التفكير في استراتيجيات لتجاوزها، علاوة على الوعي بتأثير البيئة في اللغة أو جغرافيا اللغة،،الخ

2 – اللغة العربية في الأطر التربوية الجديدة:

2-1 اللغة العربية في الميثاق الوطني للتربية والتكوين:

احتفى الميثاق الوطني باللغات واعتبر تمكن المتعلم منها، مقياسا لجودة التعلمات، واعتبر اللغة العربية لغة رسمية للبلد، قبل دستور 2011، وخص الميثاق دعامته التاسعة لتحسين تدريس اللغة العربية واستعمالها وإتقان اللغات الأجنبية والتفتح على الأمازيغية.

ويتلخص منظور الميثاق لتحسين تدريس اللغة العربية، أولا: في إلزامية تعليم اللغة العربية لكل الأطفال المغاربة، وثانيا: في فتح شعب للبحث العلمي المتطور والتعليم العالي باللغة العربية.

أما الاستراتجيات لتحقيق هذا المبتغى فقد حدده الميثاق في ما يلي:

- التنمية المتواصلة للنسق اللساني العربي على مستويات التركيب والتوليد والمعجم
- تشجيع حركة رفيعة المستوى للإنتاج والترجمة بهدف استيعاب مكتسبات التطور العلمي والتكنولوجي بلغة عربية واضحة
- تشجيع التأليف والنشر وتصدير الإنتاج الوطني الجديد
- تكوين صفوة من المتخصصين يتقنون مختلف مجالات المعرفة باللغة العربية وبعدة لغات تكون من بينهم أطر تربوية عليا ومتوسطة
- إحداث أكاديمية للغة العربية، ابتداء من الموسم الدراسي: 2001/2000، تتولى تخطيط استراتيجيات تطوير اللغة العربية، وتضم تحت سلطتها، المؤسسات التربوية، والمراكز الجامعية المهتمة بتطوير اللغة العربية

لقد ربط الميثاق الوطني للتربية والتكوين، تجويد تدريس اللغة العربية ب" تحسين استعمالها" أي تداول اللغة العربية في جميع المرافق الحيوية للدولة، مع إلزامية تعليمها للأطفال المغاربة، ثم تنمية نسقها اللساني على مستويات متعددة؛ التركيب والتوليد والمعجم، علاوة على إحداث مؤسسة أكاديمية، تعنى بالتخطيط اللغوي، وكل ما يتعلق بالارتقاء باللغة العربية، وهي أكاديمية محمد السادس للغة العربية، المؤسسة التي لم تر النور إلى يومنا هذا، والتي قال عنها الباحث اللساني عبد القادر الفاسي، أنها" تتولى التخطيط لبرامج أعمال تخدم المشروع اللساني والتربوي والثقافي والعلمي، كما تتولى السهر على ضبط سلامة اللغة واقتراح التشريعات التي تعزز دورها"[1]، يعني بذلك اللغة العربية، نتساءل اليوم ونحن على مشارف سنة 2012 أي بعد مرور اثنا عشر عاما على التبشير، بأكاديمية محمد السادس للغة العربية، لماذا لم ترى النور؟ من المستفيد من تحجيم مثل هذا النوع من المؤسسات ذات الطبيعة الأكاديمية، في حقيقة الأمر يتداخل الشخصي بالسياسي، في تحجيم هذا النوع من المشاريع.

حاصل القول، أن الميثاق الوطني للتربية والتكوين، نظر إلى تجويد تدريس اللغة العربية من زاويتين:

زاوية أولى؛ في تجديد المناهج والبرامج المتعلقة باللغة العربية، وإلزامية تعليمها لكل الأطفال المغاربة، ثم زاوية ثانية تتجلى في إقامة مشروع أكاديمية محمد السادس للغة العربية، والتي تتكفل بالتخطيط اللغوي، ووضع الاستراتيجيات الكفيلة بتحسين استعمال اللغة العربية تربويا، وفي غيرها من مجالات الحياة كالإدارة ..الخ

2-2 -اللغة العربية في المذكرات التربوية:

تأتي المذكرات في سياق تجويد التعلمات، بالمؤسسات التربوية فهي بمثابة قرارات وتوجيهات تتمم ما قبلها أو تنسخه، مذكرة الأطر التربوية بمستجدات المنهاج التربوي، تفصيلا وتوضيحا لمجملات ومرامي ومقاصد الفلسفة التربوي، بغية تمكين المدرسين من تنفيذ المنهاج تنفيذا يضمن تجويد العملية التربوية، وجودة الخريج[2]، و صرفها عن الارتجال والفوضى.

وتلمس المذكرات التربوية، المنهاج واستراتيجيات تنفيذه، وكيفية تقويم التعلمات بما يمكن المتعلمين من التعلم الذاتي ومن تكوين جيد.

ويرتبط باللغة العربية مذكرات تربوية منها:

المذكرة التربوية رقم 28 في شأن إعداد مواضيع الامتحان الموحد الجهوي لنيل شهادة السلك الاعدادي، الصادرة بتاريخ 26 فبراير 2010

المذكرة التربوية رقم 105 في شأن دراسة المؤلفات الخاصة باللغة العربية في السنة الثالثة من التعليم الاعدادي، والجذعين المشتركين؛الآداب والعلوم الإنسانية، والتعليم الأصيل، الصادرة بتاريخ 7 أكتوبر 2005

المذكرة التربوية رقم 132في شأن دعم التمكن من اللغات، واللغة العربية دعت المذكرة إلى تعزيز التمكن منها وتحسين استعمالها في التواصل والتدريس داخل المؤسسات التعليمية، والصادرة بتاريخ 16 شتنبر 2009

المذكرة التربوية رقم 157 في شأن برنامج مكون الدرس اللغوي في مادة اللغة العربية بالتعليم الثانوي، وفيها توضيح للظواهر اللغوية المحذوفة بالسلك الثانوي الإعدادي والسلك الثانوي التأهيلي، والصادرة بتاريخ 10 نونبر 2009

المذكرة التربوية رقم 180 في شأن تأطير وتتبع إجراء فروض المراقبة المستمرة لمادة اللغة العربية بالسلك الثانوي الإعدادي، والحاملة لتاريخ 13 ديسمبر 2010

3-2 اللغة العربية في التوجيهات التربوية:

2-3-1 في السلك الثانوي الإعدادي:

تحدد البرامج والتوجيهات المرامي والغايات المستهدفة في تدريس مادة من المواد، مع تحديد مختلف مكوناتها، وطرائق ومنهجيات تدريس كل مكون.

وتحدد البرامج والتوجيهات الخاصة بمادة اللغة العربية بالسلك الثانوي الإعدادي، المتعلم المستهدف وهو الذي توفرت فيه هذه المواصفات، "إن المتعلم(ة) الذي يلج مرحلة التعليم الإعدادي يكون مبدئيا مكتسبا لرصيد لغوي ومعرفي ومهاري، يؤهله لاستيعاب الظواهر الاجتماعية والثقافية، واتخاذ مواقف منها، والتفاعل الإيجابي مع محيطه المحلي والجهوي والوطني والعالمي، فضلا عن اكتساب كفايات تواصلية أساسية، مع القدرة على توظيفها في وضعيات مبسطة"[3]

ويروم برنامج اللغة العربية، إعداد متعلم متشبع بقيم العقيدة الإسلامية السمحة، وقيم المواطنة الصالحة وفلسفة حقوق الإنسان، علاوة على التمكن من قواعد اللغة العربية، واستعمالها استعمالا سليما، من الأخطاء النحوية والصرفية والإملائية، والقدرة على التواصل بها مع الآخرين.

وتتبنى منهجية الدرس اللغوي، ضمن مكونات اللغة العربية بالسلك الثانوي الإعدادي، الرؤية الوظيفية للغة، من خلال استحضار الشروط الاجتماعية المحيطة بالمتعلم، وسياق التداول في تعلم اللغة، فهو يسعى "دعم مكتسبات المتعلم ودراسة بعض الظواهر اللغوية الصرفية والنحوية، وقد اعتمد هذا الدرس على مقاربة وظيفية، تستهدف تعليم اللغة وتعلمها ضمن سياقات تواصلية تدعم قدرات المتعلم على التواصل كتابيا وشفهيا"[4]

يستفاد من بهذا المعنى أن منهاج اللغة العربية، ومن خلال العدة المفاهيمية المعتمدة فيه، يسعى أن يكون تدريس اللغة العربية بالسلك الثانوي الإعدادي، بعيدا عن الشحن والتلقين السلبي، بالتركيز على ما يمكن أن يستثمره المتعلم في سياقاته التواصلية، ومنه لا ضير أن يتم التركيز على الأبعاد الاجتماعية والسياقية للغة العربية.

ومنه فإن منهاج اللغة العربية، يروم إعداد متعلم متمكن من قواعد اللغة العربية، تركيبا وصرفا وصوتا، وقادر على توظيف هذه القواعد في مختلف التخاطبات، مما سيمكنه من استضمار واستيعاب مختلف الخطابات، واستكناه فحواها.

2-3-2 في السلك الثانوي التأهيلي:

يحدد منهاج اللغة العربية بالسلك الثانوي التأهيلي، مواصفات المتعلم المراد إعداده، في متعلم ايجابي، قادر على اتخاذ القرار المناسب، بحسب السياقات المحيطة به، وقادر على تدبير الزمن ومكتسب" لقدرات تواصلية وثقافية ومنهجية، تمكنه من التواصل باللغة العربية شفهيا وكتابيا"[5]، والمتأمل بين ثنايا منهاج اللغة العربية في السلك الثانوي التأهيلي، يجد استحضارا للبعد الوظيفي للغة، ولا ضير لأنه يتغيأ" تثبيت مكتسبات المرحلة الثانوية الإعدادية، واستكمال مكونات الكفايات التواصلية، والمنهجية، ليختار المتعلم في نهاية المرحلة التوجه الملائم لقدراته وميولاته مما يجعل منها دعامة أساس للدراسة في سلك البكالوريا"[6]

ويقصد المنهاج بالكفاية التواصلية، في السلكين؛ الثانوي الإعدادي والثانوي التأهيلي، بقدرة المتعلم على التواصل بلغة عربية سليمة، من الأخطاء، وقادر على إنتاج خطابات حسب الوضعيات المشكلات التي يصادفها المتعلم في السياق المحيط.

ولهذا فإن منهاج اللغة العربية، تبعا لهذا الرهان يقدم استراتيجيات متنوعة للوصول إلى الرهان نفسه تبعا لتعدد توجه المتعلم، في مرحلة الجذوع المشتركة، ثم مرحلة السنة الأولى والثانية بكالوريا، ولهذا نجد تعددا في المفاهيم التي تطلق على الدرس اللغوي، فتارة نجده بالاسم نفسه، وتارة باسم علوم اللغة، بل حتى الدروس المقترحة، تحمل الكثير من اللبس، فنجد في الدرس اللغوي، ماله بالإيقاع العروضي؛كالبحور الشعرية، والسطر الشعري، والانزياح، وتارة نجد الاتساق والانسجام، وتارة نجد جملة الصلة والجملة التفسيرية.

ويقترح منهاج اللغة العربية، بسلك ثانية بكالوريا، في تدريس مكون" الدرس اللغوي" التركيز على بعدين أساسيين هما:

"بعد معرفي يمكن المتعلم من تعرف الظواهر اللغوية المقررة، ويتبين مرجعياتها

بعد وظيفي يرصد كفاية الظواهر المدروسة في تحليل النصوص الأدبية وقراءتها، وهو ما يستوجب عدم الانغلاق داخل هاجس استخلاص القواعد الضابطة للظاهرة، للتفكير في كيفيات إدماجها أثناء تحليل النصوص"[7]

خلاصة القول، أن منهاج اللغة العربية بالسلك الثانوي التأهيلي، يستحضر البعد الوظيفي من خلال تركيزه، على ما يحتاج إليه المتعلم تبعا لميولاته، وللتوجيه الدراسي، بالتالي فإن تركيزه على الكفاية التواصلية، والمعرفية، كامن في كونه يريد أن يجمع البعدين المعرفي والوظيفي، أي اكتساب المتعلم، ما يمكنه من التواصل مع الآخر بلغة عربية سليمة تفي بالغرض التواصلي حسب السياق، علاوة على استثمار الظواهر اللغوية في تحليل النصوص، وإنتاج الخطابات، وبالتالي فقول منهاج اللغة العربية بسلك الثانية بكالوريا، "عدم الانغلاق داخل هاجس استخلاص القواعد الضابطة للظاهرة"، إشارة إلى أن القواعد المعيارية ليست مطلوبة في هذا السلك في ذاتها، وإنما المطلوب هو كيف يتمكن المتعلم من استثمارها في تحليل الخطابات، وإنتاجها، والتواصل مع الآخر حسب مقتضيات المقام وسياسته.

3 - تدريس اللغة العربية من منظور اللسانيات الوظيفية:

تلتقي اللسانيات بالتدريس، في ما يسمى باللسانيات التطبيقية linguistique applicative، أو اللسانيات التربوية، وغايتها مد المدرس بالأدوات النظرية لفهم الكثير من الظواهر اللغوية، وتأثير البيئة والمجتمع في اللغة، في إطار مبحث السوسيولسانيات sociolinguistique، وتأثير ما هو نفسي في اللغة، في إطار مبحث السيكولسانيات psycholinguistique .

فالمبحث الأول يفيد مدرس اللغة في فهم الكثير من التداخلات اللغوية، وتأثير التعدد اللغوي واللهجي (المكون الدارج والحساني والمكون الأمازيغي) في اكتساب اللغة العربية الفصيحة مثلا،

أما المبحث الثاني فيعين مدرس اللغة في تفسير علل أمراض اللغة، كنطق الحروف والمخارج وغيرها.

واستمداد المدرس أدواته النظرية في تدريس اللغة العربية غدا أمرا لا مناص منه، لاسيما وما يطرحه التعدد اللهجي من عوائق تحول دون تمكن المتعلم من الملكات اللغوية .مما يسوغ التفكير بجدية في استراتيجيات أخرى تشويقية تعتمد الحاسوبيات الرقمية، والوسائط السمعية البصرية، تحبب اللغة العربية للمتعلم، واعتقد أن تدريس اللغة العربية من منظور لساني وظيفي كفيل بذلك.

اللسانيات الوظيفية، تنظر لموضوع اللغة باعتبارها، وسيلة رمزية تتيح لمستعمليها تحقيق وظيفة التواصل، فالذي يهم اللساني الوظيفي هو تفسير" القدرة التواصلية"

لمستعمل اللغة الطبيعية، والتي تتشكل من ملكات:الملكة النحوية والملكة المنطقية والملكة الادراكية والملكة المعرفية والملكة الاجتماعية، ويتفرع عن كل ملكة قالبا؛ فنجد القالب النحوي، والقالب المنطقي والقالب الإدراكي والقالب المعرفي، والقالب الاجتماعي،

وقد أضاف (المتوكل1996) قالبا يتكفل بتفسير الخطاب الشعري، نظرا لما يمتاز به الشعر من صور شعرية، وتخييل يحتاج لقالب ينفرد بتفسير ذلك، وسماه (البوشيخي 1998) بالقالب التخيلي، الكفيل بتفسير الخطاب السردي والفني عموما.

1-3 – اللسانيات الوظيفية مبادئ عامة:

يرتكز النحو الوظيفي على مجموعة من الأسس والمبادئ التي تحدد طريقة اشتغاله على اللغة الطبيعية، وتبرز خصوصياته[8].

ويمكن الإقرار أن الذي يميز النحو الوظيفي، هو نظره للغة الطبيعية كأداة للتواصل بين المتخاطبين، فالذي يهم النحو الوظيفي، هو القدرة التواصلية لدى مستعمل اللغة الطبيعية، ويستند هذا النحو على مجموعة مبادئ وهي:

- وظيفة اللغات الطبيعية هي التواصل بين المتخاطبين
- موضوع النحو الوظيفي هو وصف وتفسير "القدرة التواصلية"
- النحو الوظيفي نظرية في التركيب والدلالة منظورا إليهما من وجهة نظر تداولية
- يسعى النحو الوظيفي تحقيق ثلاث كفايات:كفاية نفسية، كفاية تداولية، كفاية نمطية

يشتمل بنية نظرية النحو الوظيفي على ثلاث مستويات تمثيلية وهي:

- مستوى تمثيل الوظائف الدلالية كوظيفة المنفذ، ووظيفة المتقبل، ووظيفة المستقبل، ووظيفة المستفيد، نحو ما نجد في الجملة الآتية، شرح الأستاذُ الدرسَ للتلاميذِ
- فالأستاذُ منفذ الدرسَ متقبل للشرح للتلاميذِ مستفيد
- مستوى تمثيل الوظائف التركيبية كوظيفة الفاعل، ووظيفة المفعول
- مستوى تمثيل الوظائف التداولية كوظيفة المبتدأ ووظيفة المحور ووظيفة الذيل، وقد أضاف المتوكل وظيفة خامسة هي وظيفة المنادى المتوكل(1985)

تشتق الجملة عن طريق بناء بنيات ثلاث وهي؛ البنية الحملية، ثم البنية الوظيفية، ثم البنية المكونية، عن طريق تطبيق ثلاث مجموعات من القواعد:هي "الأساس" و"قواعد إسناد الوظائف" و"قواعد التعبير"

تشتمل قواعد الأساس على قواعد

المعجم، وقواعد تكوين المحمولات والحدود، حيث تضطلع قواعد المعجم بإعطاء المحمولات والحدود الأصول، في حين تضطلع قواعد تكوين المحمولات والحدود المشتقة، ويمثل للمحمولات أصولا أو مشتقة في شكل أطر حملية[9].

تشكل البنية الحملية دخلا لقواعد إسناد الوظائف، التي يتم بواسطتها الانتقال من البنية الحملية، إلى البنية الوظيفية

تسند إلى حدود الحمل الوظائف التركيبية (الفاعل والمفعول) أولا، ثم الوظائف التداولية[10] (المنفذ والمتقبل والمستقبل..)

نحو ما نجد في هذه الجملة:

اللسانيات دَرَسَ البَاحثُ فاللسانيات تركيبيا تشغل وظيفة مفعول، أما تداوليا فتشغل وظيفة بؤرة دَرَسَ حمل البَاحثُ تركيبيا يشغل وظيفة فاعل، أما تداوليا فيشغل وظيفة منفذ أما قواعد التعبير فتضم مجموعة قواعد كما يلي:

- قواعد إسناد الحالات الإعرابية
- قواعد إدماج مخصصات الحدود (إدماج أداة التعريف مثلا)
- القواعد المتعلقة بصيغة المحمول (بناء الفاعل /بناء المفعول)
- قواعد الموقعة داخل الجملة
- قواعد إسناد النبر والتنغيم

2-3 - المنحى الوظيفي ولسانيات التراث علاقة أصول وامتداد:

الذي يميز كتابات أحمد المتوكل انه لم يتخذ موقفا رافضا للتراث اللغوي القديم، بل اعتبره مبحثا مهما يمكن استثماره في بناء خطاب لساني عربي واعد، ينعكس إيجابا على معالجة قضايا اللغة العربية.

يعتبر مشروع أحمد المتوكل في اللسانيات الوظيفية، مشروعا مهما في معالجة كثير من قضايا اللغة العربية، التركيبية والمعجمية والصرفية والدلالة، من خلال تبني رؤية امتدادية أو استمرارية بلغة مصطفى غلفان بين اللسانيات الحديثة ولسانيات التراث، مستثمرا اقترحات الفكر اللغوي والبلاغي العربي في معالجة الكثير من الظواهر المتعلقة باللغة العربية فصحى ودوارج مما رسخ لديه قناعة مفادها أن الفكر اللغوي العربي وظيفي في عمقه، مما سيسهل إمكانية دمجه في نحو الخطاب الوظيفي، و بصدد إشكالية علاقة اللسانيات الحديثة بلسانيات التراث فقد تبنى المتوكل أطروحة التطور والامتداد، أي أن اللسانيات الحديثة ما هي إلا امتداد وتطور عن لسانيات التراث.

جاء في كتاب أحمد المتوكل "المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد (2006)

يسعى لسانيو هذا المنحى في انجاز مشروع ذي شقين :

- إضاءة نسق اللغة العربية صرفا وتركيبا واستعمالها فصحى ودوارج في مختلف القطاعات الاقتصادية -الاجتماعية..

- مد الجسور لوصل البحث اللساني الوظيفي بالتنظير العربي التراثي للدلالة منظورا إليه في مجمله نحوا وبلاغة وفقه لغة وأصول فقه وتفسيرا"[11]

من خلال هذا الأهداف الكبرى التي تروم نظرية الوظيفية تحقيقها؛يستفاد جليا أن المتوكل يؤمن بعلاقة الاتصال بين لسانيات التراث واللسانيات الحديثة ممثلة في اللسانيات الوظيفة ، بل أكثر من هذا سيعتبر المتوكل "أن الفكر اللغوي التراثي في عمقه فكر وظيفي من حيث مفاهيمه ومنهجه وقضاياه"[12]

وبهذا المعنى يكون المتوكل واضحا في تجسيد الطرح الاتصالي بين لسانيات التراث واللسانيات الحديثة، على اعتبار أن الفكر اللغوي النحوي والبلاغي العربي القديم ما هو إلا فكر وظيفي في عمقه.

ويرى الباحث المتوكل أنه "يكمن التباين بين الفكر اللغوي القديم (عربيا كان أو غير عربي)والدرس اللساني الحديث في اختلاف الظروف التاريخية التي تحيط بإنتاجهما حيث لا قطيعة معرفية بينهما خلافا لما يعتقد"[13]

ومنه فإن لسانيات التراث (عربية أو غير عربية) واللسانيات الحديثة تختلفان في الظروف التاريخية التي ولدت كلاهما .

وتأتلفان في كونهما وظيفيتين في عمقهما على الأقل نتحدث عن اللسانيات الوظيفية .

ومنذ بداية النحو الوظيفي المتوكلي جسدت مؤلفات أحمد المتوكل هذا الطرح الاتصالي بين لسانيات التراث واللسانيات الحديثة.

3-3 - المنحى الوظيفي وتدريس اللغة العربية:

ارتبطت اللسانيات الوظيفية مع اللساني المغربي أحمد المتوكل، بقضايا اللغة العربية التركيبية والدلالية والمعجمية والتداولية، وعيا منه بأن تطوير اللغة العربية، كمقوم من مقومات الحضارة العربية و الإسلامية، يبدأ بانفتاحها، وانفتاح لسانيي أهلها على ما توفره اللسانيات من أدوات وإمكانات للاشتغال عليها، وبصدد تدريس اللغة العربية فإن مؤلفات أحمد المتوكل تسعى لتحقيق غايتين هما:

- تقريب مفاهيم وإواليات النحو

الوظيفي إلى أساتذة مادة اللغة العربية

- تبسط المقاربة الوظيفية لظواهر لغوية كالعطف والاستلزام الحواري والإحالة

إن هاتين الغايتين ، تدلان على أن استثمار اللسانيات الوظيفية لتدريس مكونات اللغة العربية، بالسلك الإعدادي ممكنة، شريطة التعامل مع أفكار اللسانيات الوظيفية في شموليتها، لا التعامل التجزيئي، فهناك أمور وقفت عندها لسانيات أحمد المتوكل ويمكن إدراجها داخل مقررات اللغة العربية، كالتبئيرfocalisation، والإحالة والاستلزام الحواري على سبيل الختم؛

في سابق الأيام قال تشومسكي بان ليس لدى اللسانيات ما تفيد به دارس اللغات، أو بالأحرى المشتغل في حقل ديداكتيكا، لكن اليوم أمكن القول أن الارتقاء باللغات عامة واللغة العربية خاصة يحتاج إلى استثمار الكثير من مفاهيم اللسانيات العربية الحديثة، لتجديد مناهجها، وطرق تدريسها، بما يضمن تمكن المتعلم من الملكة اللغوية والتواصلية والثقافية، لاسيما مع ضعف الملكة اللغوية عند أغلب المتعلمين في المستويات الإعدادية والثانوية التأهيلية، بله الجامعية، علاوة على موجات " التصحر المعرفي"، والفجوات اللغوية والمعرفية التي تعاني منها البيئة العربية حسب الباحث اللساني نبيل علي.

و يعتبر مشروع أحمد المتوكل، اللساني الوظيفي رائدا في مجال الدراسات اللسانية العربية؛ التي عالجت قضايا اللغة العربية من منظور اللسانيات الوظيفية الحديثة، التي تطورت مع أعمال فورث، وسيمون ديك، وهنخفلد وماكنزي، وتتبع كتابات أحمد المتوكل اللسانية، نجد تمرسا ودقة في استيعاب المنحى الوظيفي ومحاولة نمذجته على ظواهر اللغة العربية الصوتية والمعجمية والتركيبية والدلالية، فقد تناول نحو الخطاب الوظيفي، في جل كتبه، ظواهر اللغة العربية، كالعطف والاستثناء، والوظائف التداولية كالبؤرة والذيل والمنادى...الخ

إن أهمية مشروع احمد المتوكل اللساني، تكمن أهميته في كونه يعتقد أن علاقة الفكر اللغوي العربي القديم، بنحو الخطاب الوظيفي الحديث، علاقة أصول و امتداد، فكلاهما وظيفي في عمقه (المتوكل 2006) (المتوكل 2010)، كلاهما يبحث في " القدرة التواصلية" التي تمكن مستعمل اللغة الطبيعية، من انجاز قصوده الكلامية، دون ان ينخرم حبل التواصل بينه وبين المخاطَب، بالالتباس الدلالي أو التركيبي أو التداولي، فيكون خطابه عارفا طريقه للنجاح، معطيا الفرصة للمخاطب المستمع أن يؤول ويفهم ويستوعب، وهذا

هو جوهر التواصل الإنساني.

نضيف فكرة أخرى بصدد مشروع أحمد المتوكل هي "افتراض التمثل البنيوي" بين بنية النص، وبنية الخطاب، (المتوكل2001)و المتوكل2003)، و هو ما دافع عنه المتوكل في كتابه الموسوم ب " مسائل النحو العربي في قضايا نحو الخطاب الوظيفي"، أثناء الحديث عن "أرباض النص" فالنص بهذا المعنى" قسم من أقسام الخطاب باعتبار الخطاب يرد مفردة واحدة أو مركبا اسميا أو جملة أو ما يجاوز الجملة الواحدة"[14]

بالتالي فإن مشروع أحمد المتوكل يستحق الانكباب عليه، لاستثماره في تدريس اللغة العربية من منظور جديد، منظور يركز على الجانب الوظيفي /التواصلي للغة، خصوصا وما يلاحظ اليوم من ضعف للملكات اللغوية والتواصلية لدى المتعلم،

وقد ركز(المتوكل 2011) على الخطاب الموسط، وسبل تعلم اللغات وقضايا الترجمة، ونموذج نحو الخطاب الوظيفي الموسع، وكيف يمكن للخطابات أن تحقق وظيفية التخاطب والتواصل، .

خاتمة:

إن تسلح مدرس اللغة العربية، بعدة بيداغوجية ولسانية غدا ضروريا، ليتمكن المدرسون من فهم أمراض اللغة والأغلاط الكثيرة، وضعف ملكة اللغة عند المتعلمين، وهذا في نظري يستدعي وعي المراكز التربوية لمهن التعليم، بأهمية إمداد الخريجين بمصوغات في اللسانيات، وديداكتيك التعدد اللغوي،

أما استثمار اللسانيات الوظيفية في تدريس اللغة العربية، فهو ممكن يستدعي استيفاء شرطين:

إدماج اللسانيات في مقررات اللغة العربية تكوين الخريجين تكوينا لسانيا ويعتبر مشروع أحمد الوظيفي رائدا في معالجة قضايا اللغة العربية الجملية والخطابية والتداولية والأنساقية والحاسوبية، مما يعتبر استثماره في تدريس اللغة العربية، تجويدا لتدريس اللغة العربية، بالتركيز على البعد الوظيفي التواصلي لها.

الهوامش:

1 - عبد القادر الفاسي الفهري، اللغة والبيئة،منشورات الزمن،عدد38 ، 2003 ،ص:89

2 - نخلة وهبة، جودة الجودة في التربية ،، منشورات علوم التربية رقم 6 الطبعة الأولى 2005 ،ص7

3 - المملكة المغربية، مديرية المناهج والحياة المدرسية، البرامج و التوجيهات التربوية الخاصة بمادة اللغة العربية،بالسلك الثانوي الإعدادي، غشت 2009،ص: 4

4 -نفسه،ص: 31

5 - المملكة المغربية ، التوجيهات التربوية، و برامج تدريس اللغة العربية(التعليم العام)،س ت ث ت،ص: 10

6 -نفسه،ص: 11

7 - نفسه،ص: 49

8 -اعتمدت بصدد هذه النقطة على مؤلفات لأحمد المتوكل، مثل دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي1986 ، واللسانيات الوظيفية مدخل نظري ط2، الكتاب الجديد 2010 ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص 2001 ،المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي 2006،الخطاب وخصائص اللغة العربية 2010

9 - يقصد بالأطر الحملية عند احمد المتوكل

10 - يقصد بالوظائف التداولية

11 -أحمد المتوكل المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد،الطبعة 1 ،دار الأمان الرباط،15

12 -أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي، نفسه ص15

13 -أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في البنية والوظيفة والنمط، دار الأمان والدار العربية للعلوم ناشرون، ط1 ، 2010 ص: 10